فراس عزيز ديب

بين الحرب على أوكرانيا والتغيير المؤجل: أيّ مفاجآت قد تحملها الانتخابات الفرنسية؟!

«أنا الدولة»، عبارة قالها يوماً لويس الرابع عشر أمام البرلمان الفرنسي، فردّاً مضت، رحلت الملكية وذهبت طموحات «النابوليونيين الإمبراطورية» أدراج الرياح، أربع جمهوريات سقطن والجمهورية الخامسة اليوم تترنح، لكن هذه العبارة بقيت صامدةً وبقيت الأكثر تداولاً في العقلية السياسية الفرنسية، ربما أن ما أراد الملك المُلقب بـ«الشمس» إيصاله عبر هذه العبارة ليس فقط تذكير معارضيه في البرلمان بومها بالسلطة المطلقة التي يتمتع بها سياسياً وروحياً فحسب، لكنه أراد بساطة أن يقول، مستنداً إلى ما حققه من إنجازات في عهده على جميع الأصعدة: يجب أن يكون للديمقراطية حدود!

فكرة «حدود الديمقراطية» تبدو أحد الأسئلة الأكثر إلحاحاً عندما يتجه المواطن الفرنسي صباح اليوم إلى صناديق الاقتراع للإدلاء بصوته في الدورة الأولى للانتخابات الرئاسية، انتخابات تبدو عملياً من الأكثر غموضاً بتحديد المرشحين الأوفر حظّاً لخوض الدور الحاسم بعد أسبوعين، وإن كان جلهم يمتلك لقب «ضيف شرف» بما فيهم مرشح اليسار ما يعني انحصار المنافسة بين كل من ينتمي الحالي إيمانويل ماكرون، ورئيس الجبهة الوطنية ذي الميول اليمينية مارين لوبين، واليساري العتيد جان لوك ميلوشون، إلا أن الوحيد القادر على خرق هذا الثلاثي هي المرشحة الاشتراكية وعمدة باريس آن هيدالغو.

ربما يتنابك الشعور تأسّ ون يمتلكون حقّ التصويت، بأنّ مقاطعة هذه الانتخابات هي الفكرة الطاغية تحديداً في الدور الأول، ليقف بثبعه الفرنسيون كثيراً عندما ينتابهم اليأس من حل المرشحين، لكن الحال لا تكون كذلك في الدور الثاني تحديداً عند وجود طرف يميني متطرف، لكن حتى هذه الفكرة يدأت تضمحل، هناك فعلياً من بأت يتعاطى مع عبارة «دعهم يحكمون» بالكثير من الهدوء، بالنسبة لهؤلاء يميناً أو وسطاً أو يساراً لاشيء سيتغير انطلاقاً من فرضية أن وعود السياسيين لا ضامن لها، هناك من يتذكر الرئيس السابق فرانسوا هولاند الذي لم ينفذ من وعوده إلا إقرار قانون زواج المثليين! هل حقاً أن مارين لوبين قادرة على إخراج فرنسا من الاتحاد الأوروبي على طريقة البريطانية؟ ربما العلم أن الخروج يحتاج إلى استفتاء شعبي!

هناك من يذهب أبعد من ذلك ليتحدث عن «حدود الديمقراطية» انطلاقاً من قدرتها على تلبية ما يريد الشعب لدرجة بدا فيها بالنسبة لهم وكأن الديمقراطية هي الوجه الناعم للديكتاتورية، ففي الثانية ليس لديك الحق بالتعبير ولا حتى المطالبة بالحقوق لأن من يرفعون شعار «أنا الدولة» هم من يقررون عنك، في الأولى لك الحق بالتعبير والمطالبة بالحقوق لكن في النهاية من لا يرفعون ولو صورياً شعار «أنا الدولة» هم من يقررون عنك، النتيجة واحدة تحديداً عندما لا من الأكثر غموضاً بتحديد المرشحين الأوفر حظّاً لخوض الدور الحاسم بعد أسبوعين، وإن كان جلهم يمتلك لقب «ضيف شرف» بما فيهم مرشح اليسار ما يعني انحصار المنافسة بين كل من عند الاختيار بين الأسوأ والأسوأ، ليقف بثبعه اليأس من كل من الرئيس الحالي إيمانويل ماكرون، ورئيس الجبهة الوطنية ذي الميول اليمينية مارين لوبين، واليساري العتيد جان لوك ميلوشون، إلا أن الوحيد القادر على خرق هذا الثلاثي هي المرشحة الاشتراكية وعمدة باريس آن هيدالغو.

ربما يتنابك الشعور تأسّ ون يمتلكون حقّ التصويت، بأنّ مقاطعة هذه الانتخابات هي الفكرة الطاغية تحديداً في الدور الأول، ليقف بثبعه الفرنسيون كثيراً عندما ينتابهم